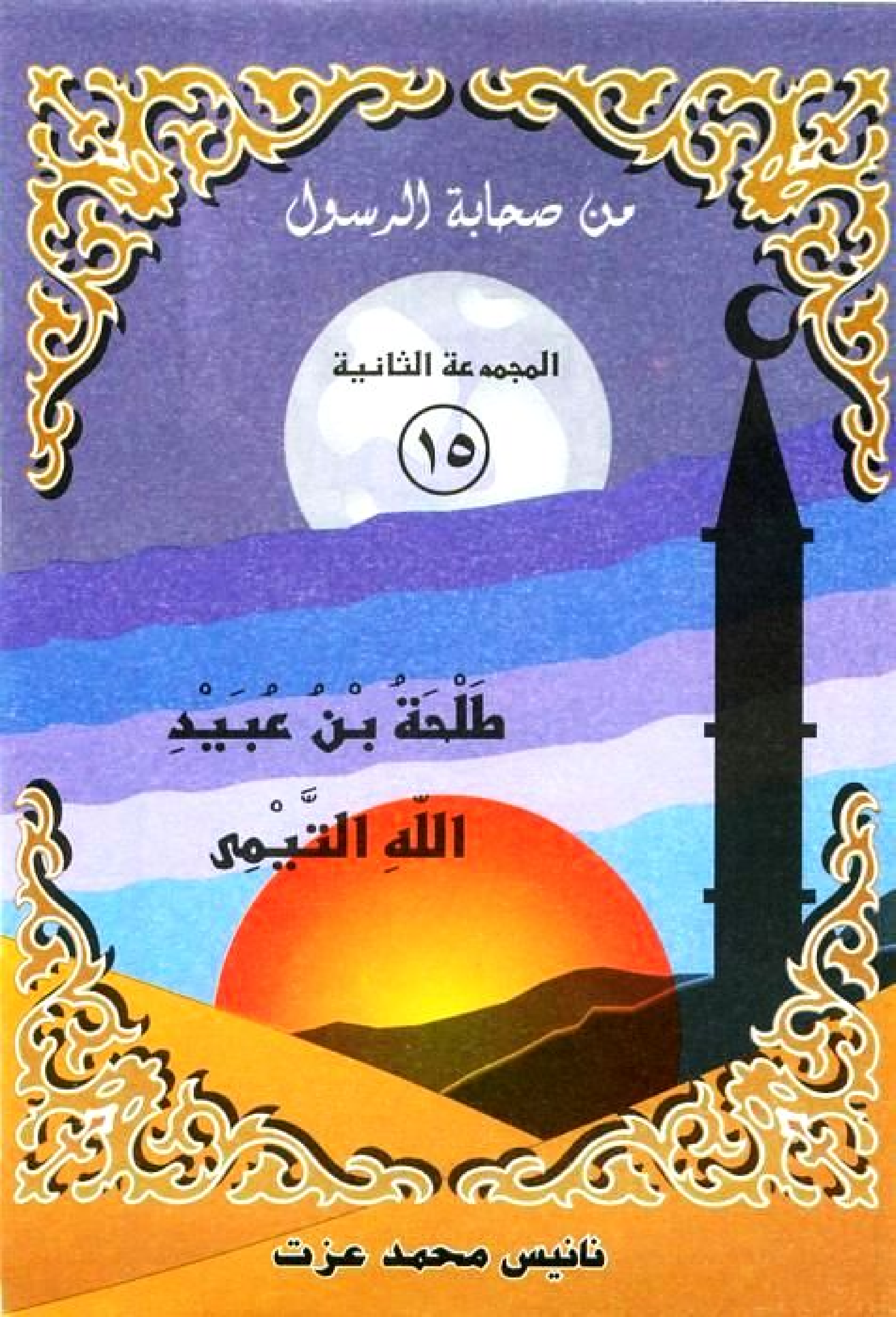

من صحابة الرسول
المجموعة الثانية
١٥
طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ
اللّهِ التَّيْمِي
نانيس محمد عزت

## طلحة بن عُبيد الله

اتّفقَ ياسرٌ وصَديقُهُ أُسامَة ، أن يَقوما برِحلَـةٍ إلى حَدائـقِ حُلوانَ غدًا ، فَيركَبا إليها « مِترو الأنْفاق » ، ويَقضِيا يَومًا جَميلاً مُمتِعًا بينَ الحدائـق ، ويَزورا مُتحَـفَ الشَّـمَع ، ومصانعَ الحَديدِ والصُّلب .

وفى صَباحِ الغَدِ فوجِئَ ياسرٌ بـاعْتِذارِ صَديقِـهِ أُسـامَة ، وطَلبِهِ تأجيلَ الرِّحلَةِ إلى صَباحِ يومِ الجُمُعَةِ القادِمِ ، لذَهابِـهِ معَ والِدِه إلى مَحلِّ عَملِه .

قالَ ياسِر : إنّى أَعجَبُ يا والِدى لأمرِ أُسـامَة ، فهـو يُصِرُّ علـى العَمـلِ مـعَ والِـدِه ، مـعَ أنَّ والِـدَه يُنفِقُ عليـهِ بسَخاءٍ ولا يَرفُض له طَلَبا ، فلِماذا يُرهِقُ نفسَه بالعَمل ؟

قال والِدُه : ولِماذا العَجَب ؟ إنَّ أُسـامَةَ غُـلامٌ نَشيطٌ ، يُحبُّ أن يَعتمِدَ على نَفسِه ، فليسَ العمَـلُ وَسيلةً لجَمـعِ المـالِ فقـط ، ولكنّـه كذلـك غايَـةٌ تُسـاعدُ الإنْسـانَ علـى

تَكوينِ شَخصيَّتِه . ثمَّ إنَّ ما تَشتَريه من مالِكَ الَّذى اكْتَسبتَه بعَرقِ جَبينِك ، تكونُ له دونَ شكٍّ قيمَةٌ خاصَّةٌ عِندك .

قال ياسِر : ولكنَّ أُسامَةَ لا يزالُ صَغيرَ السِّنِّ يا أبى .

قالَ والِدُه : ليسَ لِلعمَلِ سنٌّ مُعيَّنة ، وقد حثَّنا دينُنا الحَنيفُ على العَملِ وحبَّبنا فيه . أتَدرى يا ياسِرُ أنَّ موقِفَ صَديقِكَ أُسامَة ، ذكَّرنى بموقِفِ أحدِ صَحابةِ الرَّسولِ قبلَ أن يُسلِم ، فقد نشَأ فى بَيتٍ يَنعَمُ بالتَّرفِ والثَّراء ، ويُعَدُّ من أشرافِ مكَّة ، ولم يكنْ من الشَّبابِ المُدلَّلِ يَقضى وقتَه فى اللَّهوِ واللَّعِب ، ولكنَّه اعْتَمدَ على نَفسِه ، وشقَّ طَريقَهُ فى الحَياة ، فعَمِلَ بالتِّجارَةِ وجابَ البلادَ شَرقًا وغَربًا فى طَلَبِ الرِّزق . فلم يَكن يَرضَى إلاَّ بالمالِ الَّذى يَكسِبُه بكَدِّهِ وتَعبه ، ويَرفُضُ المَعيشَةَ الهَيِّنَةَ السَّهلَة .

قالَ ياسِرٌ مُتشوِّقًا لمَعرِفَته : من هو يا أبى ؟

ابتسمَ والِدُه وقال : حَذّر يا ياسر ، وسأقولُ لك بعض المَعلوماتِ عَنه ، وعليكَ أن تُخمّنَ من يكون :

إنّه أحدُ العَشرةِ المُبشّرينَ بالجنّة .

وأحدُ الثّمانيةِ السّابقينَ إلى الإسْلام .

وأحَدُ الخَمسةِ الّذينَ أسْلَموا على يَدِ أبى بكرٍ الصِّدّيق .

وأحَدُ السِّتّةِ الّذين حصَرَ فيهم عُمرُ بنُ الخَطّابِ الشُّورَى ، لاخْتيارِ من يتولّى خِلافَةَ المُسلِمينَ بعدَه .

وأحَدُ الّذين تُوُفّىَ رسولُ اللّهِ ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ وهو راضٍ عنهم .

وهوَ الّذى بَشّرَه ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم ـ بأنّه جارُهُ فى الجَنّة .

أجهدَ ياسِرٌ نَفسَه فى التّفكير ، ولكنّه قالَ أخيرا وهو مُتحيّر : لم أدرِ بَعدُ من يكونُ يا أبى ؟ هل لكَ أن تكلّمَنى عنه أكثَر ؟

قالَ والِدُه : لقد قالَ عنه رسولُ اللّهِ ـ صلّى اللّـه عليهِ وسلّم ـ : من سرَّهُ أن يَنظُرَ إلى رَجُلٍ يمشي علـى الأرضِ وقد قَضى نحبَه ، فلينظُر إلى طَلحَة .

ولم يَستَطع ياسِرٌ مع ذلك أن يُخمِّنَ من يكونُ صـاحبُ تلك الشّخصيَّةِ الفَريدَة ، فقرّبهـا إليـه والِـدُه بقَولِـه : لقد لقّبه ـ صلّى اللّه عليـهِ وسلّم ـ بـ « طَلْحَـةَ الخَـيْر » و« طَلْحَةَ الجَواد » و« طَلْحَةَ الفَيّـاض » . وقـالَ عنـه أبو بكرٍ الصّدّيق : إذا ذُكِرَ يومُ أُحُد ، فذلِك كانَ يَومَ طَلحَة .

هل عَرفتَ الآنَ من هو يا ياسِر ؟

قال ياسِر : قد عَرفتُه بالطّبع ، فهو طَلحة .

ابتسمَ والِدُه وقال : يا لَلعَبقريَّةِ يا ياسِر ؟ ألم تعـرِفْ بعدُ طَلحةَ من ؟

هزّ ياسِرٌ رأسَه نافيا ، فأكْمَل والِدُه كلامَه : هـو طَلْحةُ ابنُ عُبيدِ اللّه . أتُحبُّ أن تَسمعَ قِصّتَه ؟

قالَ ياسِرٌ مَسرورا : بالطَّبعِ أُحبُّ أن أسْمَعَها . وأَعتقِدُ أنّها قِصَّةٌ تُبشِّرُ بالخَير .

راحَ والِدهُ يَحكى قِصَّةَ طَلحةَ بنِ عُبيدِ اللّه ، قال : كان طَلحةُ كما قُلتُ لك قَبلُ من أشْرافِ مَكّة ، وكانَ يُحبُّ العَملَ والتّجارَة ، وَذاتَ يومٍ وهو فى تِجارَةٍ لَه بأَرضِ «بُصرَى» ، إذا بأحَدِ الرُّهبانِ يُنادى : يا مَعشَرَ التُّجّار ، سَلوا أهلَ هذا المَوسِم : أفيهم أحدٌ من أهلِ الحَرَم ؟

فردَّ عَليه طَلحَة : نعم ، أنا من أَهلِ الحَرَم .

قالَ الرّاهب : هل ظَهرَ فيكم أَحمد ؟

ردَّ طَلحة : ومنْ أحمد ؟

قالَ الرّاهب : أحمدُ بنُ عبدِ اللّهِ بنُ عبدِ المُطّلب . هذا شَهرُه الّذى يظهرُ فيه . وهو آخرُ الأنْبياء ، يَخرُجُ من أرضِكُم من الحَرَم ، ويُهاجرُ إلى أرضٍ ذاتِ حِجارَةٍ سودٍ ونخيلٍ وسِباخ ، يَنزُّ فيها الماء . فإيّاك أن تُسبَقَ إليهِ يا فَتَى .

قالَ ياسِرٌ مُتَعَجِّبا : إذا كـانَ اليَهـودُ والنّصـارَى موقِنِـين يا أبى بنُبوّةِ مُحمَّد ـ صلّى اللّه عليهِ وسـلّم ـ وأنّـه آخرُ الأنْبياء ، فلِماذا لم يُؤمِنوا به ؟

قالَ والِدُه : إنّه يا وَلدى الكِبرُ والعَصبيّةُ القَبَليّةُ.

* * *

وما أن سَمِعَ طَلحةُ بنُ عُبيدِ اللّهِ كلامَ الرّاهـب ، حتـى ترَكَ كـلَّ ما يَخصُّـه .. تَـركَ القافِلَـةَ وعَروضَ التّجـارَة ، وأسْرعَ فامْتَطى جوادَهُ وعادَ إلى مكّة ، ليتحقّقَ بنَفسِهِ مـن صِحّةِ كَلامِ الرّاهب .

وما إن وصَلَ إلى مَكّةَ حتّى سألَ أهْلَه : أكانَ من حَدَثٍ بَعدَنا فى مكّة ؟

قالوا : نَعم . فإنَّ مُحمّدَ بنَ عبـدِ اللّهِ يَزعُـمُ أنّـه نَبىّ ، وقد تَبِعَه أبو بكرِ بنُ أبى قُحافَة .

فأسْرعَ طَلحةُ بنُ عُبيدِ اللّه إلى أبـى بكـر ، وقـصَّ علَيـهِ

النَّبأ . فاندهشَ أبو بكرٍ من أمرِ الرّاهِب ، وصَحِبَ طَلحةَ إلَى الرَّسولِ ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ ليقُصَّ عَليه نَبأه ، ولِيَسمعَ ما يقولُ الرَّسولُ في أمرِه .

وما أن لَقِيَ طَلحةُ مُحمَّدًا ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ واسْتَمعَ إلى بَعضِ آياتِ القُرآنِ الكَريم ، حتّى أشرقَ فُؤادُهُ بالنّورِ وأعلَنَ إسْلامَه ، فكان أوّلَ شابٍّ من قَبيلَةِ تيم يدخُلُ في الإسْلام .

وعلَى الرَّغم من جاهِ طَلحةَ بنِ عُبيدِ اللّهِ في قَومِه ، وثَرائهِ العَريضِ وتجارَتِهِ النّاجحَة ، إلاّ أنّه نالَ حَظَّهُ من الاضْطِهادِ والعَذاب فيما بَعد ، وكانتْ أُمُّه من أشَدِّ النّاسِ جَزَعا لإسْلامِه ، فقد كانتْ ترجو لطلحةَ أن يَسودَ قَومَه .

فلمّا لم تُفلح مَعه أساليبُ الإقْناعِ والحيلَة ، لجأت إلى تَعذيبِه ، فأوثَقتْ يديه إلى عُنقِه ، ودَفعت النّاسَ إلى ضَربِه

وذاتَ يومٍ بَينما كان هو وأبو بَكرٍ يَنويانِ الصَّـلاةَ عنـد الكَعبَة ، إذا بَنوْفَلِ بن خُوَيلِدٍ يُقيِّدُهُما معًا بحَبل ، ليَمنعَهُما من الصَّلاة . وبذلك سُمِّيا بالقَرينَيْن .

وتقبَّـلَ طَلحـةُ مـا نـزل بـه مـن العَـذاب بنَفـسٍ مُؤمِنَـةٍ راضِيَة ، فتحمَّل الحِصَارَ مع إخْوانِهِ المُسلِمينَ داخلَ شِعبِ أبي طالبٍ ثلاثَ سَنوات ، حتَّى أكلَ معهم وَرقَ الشَّجر ، ولاكَ الحَصَى . فلم يزِدْ الابْتلاءُ المُسلِمينَ الأوائـلَ إلاَّ قُوَّةً وثَباتا .

قال ياسر : لقد تَحمَّلوا الكَثيرَ والكَثيرَ من أجلِ نَشرِ الإسْلام .

قالَ والِدُه : بـالطَّبعِ يـا وَلَـدي . لقـد صَهرَهُـمُ العَذابُ والاضْطِهاد ، ليكونوا قاعِدةً قويَّةً لِبناءٍ شامِخٍ باقٍ إلى يـومِ الدّين .

* * *

وهـاجرَ طلحـةُ إلى المَدينَـة ، واستقَرَّ المُسـلِمونَ هنـاكَ وذاقوا طعـمَ الرّاحـة ، واسْتَطاعوا أن يُمارِسـوا شَعائِرَهُم لأَوَّلِ مرَّةٍ فى أمان ، دونَ خوفٍ أو اضْطِهاد .

وأراد الرَّسول ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ وهو فى المَدينـة ، أن يَستَفيدَ مـن خِبرَةِ طلحَة ، ومَعرفَتِـهِ دُروبَ الطُّرق ، حَيث إنَّ اشْتِغالَهُ بالتِّجارةِ أتاحَ لـه ذلـك ، فأمرَهُ أن يَتحسَّسَ ـ هو وسعيدُ بنُ زَيد ـ أخْبارَ قافلةِ أبى سُفيان ويأتِياهُ بأخْبارِها .

واسْتطاعَ أبو سُفيانَ أن يَنجُوَ بالقافِلَة ، وخَرجتْ قريشٌ كلُّها للدِّفاعِ عن أمْوالِها وتِجارَتِها . ووقعتْ عندئذٍ غَزوةُ بدر . ولَم يشـهدْ طلحةُ الغَزوةَ لخُروجِهِ هو وسَعيدٌ فى المُهمَّةِ الّتى كلّفَهُما بها الرَّسولُ ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ ولذلـك اعْتَبرَهُمـا الرَّسـولُ مُشـترِكَينِ فـى الغَـزوَة ، وأشْركَهُما فى الغَنائم .

وجاءتْ غزوةُ أُحُد ، أو يَومُ طَلحَة .

سألَ ياسر : لماذا سُمِّيَ يومُ أُحُدٍ بيومِ طَلحَة ؟

قالَ والِدُه : استَمعْ جيِّدًا لما أَقولُ لتَعرِفَ السَّبب .

فأنتَ بالطَّبعِ تَعرفُ قِصَّةَ غَزوةِ أُحُد ، وخُروجَ قُريشٍ في ثَلاثةِ آلافِ مُقاتل لتَثأرَ لقَتلاها في غَزوةِ بدر ، وخرجَت معهم الأَحابيشُ وأهلُ تُهامَةَ وجماعةٌ من بني كِنانَة ، يَقودُهم أبو سفيانَ بنُ حرب . وكانَ النَّصرُ في أوَّلِ الأمرِ حَليفًا للمُسلِمين ، إلى أن عَصَى الرُّماةُ أمرَ الرَّسولِ ـ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم ـ ونَزلوا عنِ الجَبل فانقلبتْ المَوازين ، ومَلكتْ قُريشٌ زِمامَ المَعركة .

فأسرعَ طَلحةُ فنادَى أصحابَهُ للبَيعَةِ على المَوتِ دونَ رَسولِ اللَّهِ ـ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم ـ فأحاطوا بالرَّسولِ فكانوا كالدُّروعِ البَشَرِيَّةِ الَّتي أحاطتْ بهِ ـ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم ـ فأصابَهُ سَهمٌ في يَدهِ شلَّ إصْبَعَه ، ثم أصابَهُ

سَهمٌ آخرُ في رَأسِه نَزعَهُ بيَدِه . وتقدَّم طلحةُ فحمَلَ الرَّسولَ ـ صلّى اللّه عليهِ وسلَّم ـ حتّى صَعِدَ به إلى صَخرةٍ عاليَةٍ على الجَبَل ، وهو يَقول : بأبى أنتْ وأُمّى يا رسولَ اللّه !

وابتسمَ الرَّسولُ ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ وقال : إنّك طلحَةُ الخَير ، أوجِبَ طَلحَة ـ أى أوجبَ طَلحَةُ الجَنَّة ـ .

وعندَما أقبلَ أصْحابُهُ لإسْعافِ الرَّسول ، قال ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ اترُكانى وانْصرِفا إلى صاحِبِكُما ـ يُريد طَلحَة .

فإذا بطَلحةَ تَنزِفُ دِماؤه ، وفيه بِضْعٌ وسَبعونَ ضَربةً بسَيْف ، أو طَعَنةً برُمْح ، أو رَميةٌ بسَهم ، وإذا هو قد جُرِحتْ كفُّه ، وسقطَ فى حُفرةٍ مَغشِيًّا عليه .

قالَ ياسر : إنّه يا أبى فارِسٌ مِغوار ، وإنَّ ما فعله يَنِمُّ عن حُبٍّ وإيمانٍ حَقيقِيَّين برَسولِ اللّهِ ـ صلّى اللّه عليهِ

وسلَّم ـ .

قالَ والِدُه : ثمَّ شهِدَ طَلحةُ جَميعَ الغَزَوات . وشاركَ في صُنعِ النَّصرِ فكانَ له في كلِّ غزوَةٍ لقبٌ يليقُ به . ففي غَزوةِ العُسْرةِ سَمِّيَ « طَلحةَ الفَيّاض » لكَثرةِ ما بذلَهُ من مالِهِ ونَفسِهِ . ويومَ حُنَيْنٍ سُمِّيَ « طَلحةَ الجَواد » لكثرةِ ما بذلَ فِداءً وعَطاءً بعد فِرار جَيشِ المُسلِمينَ في أوَّلِ المَعرَكَة .

ونجدُ أنَّ عَطاءَ طَلحةَ لم يكنْ عطاءً في المَعارِكِ فَقط ، ولكِنَّهُ امتَدَّ ليَكونَ عَطاءً مادّيًا ، فقد كانَ أكثَرَ المُسلِمينَ ثَراءً وأنْماهم ثَروة ، فجعلَ ثَروتَه كلَّها في خِدمَةِ الإسْلام ، فأنفَقَ على الإسْلامِ بغَيرِ حِساب .

وتَحكي زَوجَتُه أنَّها دخلتْ عليه ذاتَ يَومٍ فرأتْه مَهموما ، وعِندَما سألَتْه أجابَها : المالُ الَّذي عندي قد كَثُرَ حتى أهَمَّني وأكْرَبني .

فقالتْ له : لا عَليك ! اقْسِمه .

فدعَا إليه النّاس ، وراحَ يَقسِمُهُ عَليهم حتّى ما بَقِيَ منه درهَم .

فكانَ طَلحةُ جَوادًا ، لا يَدعُ أحدًا من بنى تيمٍ عائلا إلاّ كَفاه مُؤنَتَه ومُؤنَةَ عِياله ، فكانَ يُزوِّجُ إماءَهُم ويَخدِمُ عائلَهم ويَقضى دَيْنَ غارِمِهم .

قالَ ياسر : إنّه فى الحَقيقَةِ يَستَحقُّ لقَبَهُ « طَلحَةَ الجَواد » ، فلم يُطلَق عليه هذا اللّقبُ من فَراغ .

وخرجَ طلحةُ مع السَّيّدةِ عائِشة ، زوجَةِ الرَّسولِ ـ رَضِيَ اللّهُ عنها ـ على رَأسِ جَيشٍ يُطالِبُ بدَم عُثمانَ بنِ عفّان ، وعزّ على عليّ بنِ أبى طالب ـ كرّمَ اللّه وجْهَه ـ أن يَرى زوجَ الرَّسولِ ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ تُقاتِلُ جُندَه ، فنادَى طَلحة : يا طَلحَةُ أجِئتَ بعُرسِ رَسولِ اللّهِ تُقاتِلُ بها وخَبَأتَ عُرسَكَ فى البَيْت ؟

وتأثَّر طَلحةُ من كَلامِ عَلِيّ ، وتبيَّـنَ لـه أنَّ جانِبَ عَلـيّ هو الّذى على حقّ ، فانْسحَبَ من المَعركَـة ، وكـانَ ثَمـنُ انْسحابِهِ أن فَقَد حَياتَه ، فقدْ عـزَّ على مَـروانَ بنِ الحَكَـمِ انْسـحابُهُ مـن المَعرَكـة ، فرمـاهُ بسَـهمٍ أودَى بحَياتِـه . فقـدْ كانَتِ الشَّهادَةُ مَذخورَةً له .

ألَمْ يَقُل عنه ـ صلّى اللّه عليهِ وسلّم ـ هـذا ممن قَضَـى نَحبه . ومن سَرَّه أن يَرى شَهيدًا يَمشـى على الأَرض ، فلينظُر إلى طَلحة .

قـال ياسِر : إنّهـا قِصَّـةُ فِـداءٍ وتَضحِيَـةٍ رائعـةٌ يـا أبـى ، فشُكرًا لك يا أُسامةُ لاعْتِذارِكَ عـن الرِّحلَـة ، فقـد أتَحـتَ لِىَ الفُرصةَ لسَماعِ قصَّةٍ رائِعة .

قـالَ والِـدُه : المُهـمُّ أن تكـونَ قـد اسْـتَفدتَ مِنهـا ، واستَوعبتَ ما فيها من عِبَرٍ وعِظات .